

الْأَنْتِيَارُ

ابراهيم بن عبد الله الدويش

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

دار الفنون للطباعة والنشر ، ١٤٢٠ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدویش ، ابراهيم بن عبد الله بن صالح
الأنيقاء - جدة.

ص ١٢ : ١٧ سم

ردمك ٩٦٦٤-٩٦٦٩

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الفضائل الإسلامية ١ - العنوان

ديوي ٢١٢ ، ٩٨١ / ٢٠

رقم الإيداع : ٩٨١ / ٢٠

ردمك ٩٦٦٤-٩٦٦٩

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ

حقوق الطبع محفوظة

إلا من أراد طبعه وتوزيعه لوجه الله تعالى

أحمد الله وأشكره وأثني عليه واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ولا رب لنا سواه ولا معبد بحق إلا إياه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد فقد قرأت هذه الرسالة القيمة التي يعنوان (الأنقياء) جمعها وصنفها أخونا الشيخ إبراهيم الدويش ولقد أجاد فيها وأفاد وبين الكثير من أهل هذا الزمان الذين امتنعوا على إخوانهم الصالحين من عباد الله الذين أصلحوا أعمالهم وأخلصوا لربهم وقاموا بواجبهم وعبدوا الله وحده ولم يظهر منهم ما يخل بالشرف أو ينفع في العدالة أو ينافي المروءة فأخذوا يكتبون لهم التهم ويسيئون بهم الظن ويتبعون عشراتهم فيجعلون من الحبة قبة ويحملون كلامهم على أبعد المحامل حسداً من عند أنفسهم :

حسدوا الفتى إله لم يتألوا سعيه

حسداً وبغياناً أنه لم يميّم

وقد قال النبي ﷺ يامعشر من آمن بسلساله ولم يفظ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته (ذكره في جامع الأصول ٦٥٣/٦ بعدة روايات) وقد ظهر من الصور التي ذكرها في هذا الكتاب ما كان عليه السلف رحمهم الله تعالى من محبة أخوانهم ونقاء لقريهم وصفاء مودتهم وتفاضلهم عن هفواتهم وزلاتهم وسترهم لعوراتهم وذكرهم لمحاسنهم وكفهم عن مساوى أخوانهم والتماس العذر لهم والتحت على المودة وصدق المحبة لهم وذلك هو دأب المؤمنين الحسينين في كل زمان ومكان فعسى أن يتراجع إخواننا في هذا الزمان وتستويوا إلى ربهم وينقوا قلوبهم لكل مسلم حي أو ميت وترحموا على أموات المسلمين وينشروا محاسنهم ويرحذروا من أخطائهم مع الاعتذار عنهم بقدر الإمكان فإنهم قد أفسدوا إلى ما قدموه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآل وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

التاريخ / ٣ / ١٤١٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احمد الدو اسْتِكْرِ وَاثْنَيْ عَلَيْهِ وَأَسْفَغَرُهُ دَاسِئِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَرَبِّنَا سُوَاهُ دَلِيلُ بَعْبُودِ مُحَمَّدِ الْإِبْرَاهِيمِ وَأَشَهَدُ أَنَّ رَحْمَةَ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ وَرَسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِلَامَةَ آرْجُونِ كِبِيرِ وَمَنْ وَالْأَهْ

ويتجدد خلق قبور أئمّة الرسالات القيمة التي يعنونها (الأنبياء) جمعها وصنفها أخوهنا الشّيخ ابن الأهْمَرِ الرَّوَيْش ولله أَجَادُ بِنْهَا وَأَفَادَ دُرْبَهُ الْكَثِيرُ من أَعْلَمِ هَذِهِ الْرِّزْقَاتِ الَّتِي امْتَلَأَتْ قُلُوبَهُم مِّنَ الْحَقِّ وَالْغُرَبَةِ والمسعد عمّا يحيى الصالحين من عباد الله الذين أصلحوا أموراً عظيمة
لهم دعا صاحبوه لهم وعبدوا الله وحده ولم يبتليه منهم ما يدخل بالشرف أو يقع في العدالة
آخر سبات في المروءة فأخذوا يكتبون لهم التهم وسيئون بهم الظنون ويستبعرون عذراتهم فيجعلون
من الحبة قبة ويجهرون كلّا لهم على أبعد الحماكن حسد من هذه أنفسهم

مسندوا الشذوذ المنسنقة مسبعين
مسندوا الحسناء، قلت لهم: يا

وقد قال النبي صل الله عليه وسلم يا مistrad آمن بسلامة ولم يقدر الابنان الى قبله لاتزدروا
الله منين ولا تتبعوا المخواة تم ذات من تسبح عوراً ثم تتبع العورات من تسبح العورات
يُلطفىء ولد في حبوب سير ذكره في جامع الاحوال ٦٥٣ بعد عروي اي شفاعة لهم من ارشاده التي ذكرها في هذا
الكتاب ما كان عليه السلف من حكم اخواتهم ونها قلة ائمهم ونها قلة ائمهم ونها ائمهم ونها ائمهم
عن اهانة ائمهم وزلاطتهم وسرارتهم لعوراتهم وذكراهم لما سلسلتهم وكثرة عن مستوى اخواتهم والناس
ارسل لهم والجعدي لموردة وحمد ومحبة لهم وذلاطه صور رأب المؤذن الحسين بكل زهاد ومكانه
فعسى أربى براج اخواتها في هذه الارواح ويتو بلو الجراح ومتى قتلوا ٦٦٨ كار مسلم حي أو ميت
ويتركتون اعم اسوان المسلمين ويشترى اصحابهم ويجذبوا من اخواتهم مع الاعنة اربعتهم يقدر الامكان
ما زرناه قد افسدوا بالاتفاق مسواد المطرود والهاربي لمساء السبئي ومساعد على محمد وآدم ومجبر وحليم

كتبه عليه الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم
 إن الحمد لله نحمدك ونستعينك ونستغفرك، وننحوذ بالله من
 شرور أنفسنا وسبيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له،
 ومن يضل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا
 شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله^(١) صلى الله عليه
 وعلى آله وأصحابه وسلم تسلیماً كثيراً.
 أما بعد:

أيها الأحبة، عنوان هذا اللقاء^(٢) وهذا الموضوع هو
 «الأنقياء» أو إن شئت فقل: «سلامة الصدر مطلب» وهذا
 الموضوع هو ثالث ثلاثة. فقد سبقه درس بعنوان:
 «الأخفياء» وسبقهما درس آخر بعنوان: «الأنقياء»، وإن

(١) هذه هي خطبة الحاجة مع زيادة الآيات الثلاث، أخرجها مسلم
 برقم (٨٦٨) وأحمد (٤٣٢، ٣٩٢/١) وابن ماجه برقم (١٨٩٢)
 وأبوداود برقم (٢١١٨) والترمذى (١١٠٥) والنسائي (١٤٠٤)
 (٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أصل هذه الرسالة درس ألقى في مدينة الرس في ١٤١٤ / ٤ / ١٢ هـ.
 ضمن سلسلة الدروس العلمية العامة والتي ينظمها المكتب
 التعاوني بالرس.

كان درساً «الأئمّة والأخفیاء» أصلهما هو حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْتَّقِيَ الْغَنِيَ الْخَفِيِّ»^(١) كما تقدم بيانه في الموضوعين السابقين، فإن أصله هذا الموضوع أيضاً هو حديث أخرجه ابن ماجه في سنته في كتاب الزهد باب الورع والتقوى من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال ﷺ: «كُلُّ مُخْمُومَ الْقَلْبِ صَدُوقُ الْلِّسَانِ». قالوا: صَدُوقُ الْلِّسَانِ نَعْرَفُهُ فَمَا مُخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قال ﷺ: «هُوَ التَّقِيُ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غُلَّ وَلَا حَسْدٌ»^(٢) وقال أبو بصير في الزوائد^(٣): «إسناده صحيح

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٥)، وأحمد (١٦٨/١).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢١٦) والبيهقي في الشعب (٢٦٤/٥) برقم (٦٦٠٤)، وعزاه الزبيدي كما في تخريج الإحياء (١٥٤٢/٤) للطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية وأحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً.

(٣) مصباح الرجاجة للبوصيري ٢٩٩/٣

ورجاله ثقات». والحديث أيضاً أخرجه الطبراني في معجمه، وأبونعيم في الخلية والبيهقي في الشعب وفيه زيادة، وذكره الألباني في الصحيح وصحيح الجامع^(١). ومعنى مخوم: من خهمت البيت إذا كنسته. ولذلك بين النبي ﷺ في هذا الحديث: أن النقي هو الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

فقلت في نفسي وأنا أتدبر هذا الحديث: ما أحوجنا لمثل هذا النقي في مثل هذا الزمن الذي اتصف بكثرة الخلاف والنزاع والفرقة، فامتلأت النفوس وأُوغرت الصدور، فلا تسمع إلا كلمات التنقص والازدراء وسوء الظن والدخول في النيات والمقاصد فما هي التتيجة:

«إن خوطبوا كذبوا.. أو طلبوا غضبوا.. أو حربوا هربوا.. أو صوحبوا غدوا.. على أرائكهم سبحان خالقهم.. عاشوا وما شعروا.. ماتوا وما قبروا». فإذا فالنتيجة، أصبح المسلمون أحزاباً «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا

(١) انظر الصحيحه رقم (٩٤٨) وصحيح الجامع (٣٢٩١).

لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ^(١) لا بل كل حزب من الآخر ينتقصون، فلا
نسمع سوى تقسيم الناس وتصنيفهم. ففرح المنافقون وهم
لها باذرون وساقون وراغعون. وصدق الله عز وجل:
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢). وأستغفر الله أن أعمّ، ولكنها
فتنة طمت وعمت. فأقول ما أحوجنا مثل هذا النقي،
فأخذت أقلب صفحات السير والترجم للوقوف على حياة
أولئك الأنقياء وتتبع أحوالهم وصفاتهم، فوجدت العجب،
ومن العجب الذي وقفت عليه أن من صفاتهم أنهم حرصوا -
رضوان الله تعالى عنهم - على تنقية قلوبهم من الحقد والحسد.
فالأنقياء لا يعرفون الانتقام ولا التشفي، ويتجاوزون
عن الھفوات والأخطاء.
الأنقياء يتثبتون ولا يتسرعون.
الأنقياء سليمة قلوبهم نقية صدورهم.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الأنقياء يحبون العفو والصفح وإن كان الحق معهم .
 الأنقياء ألسنتهم نظيفة ، فلا يسبون ولا يشتمون .
 الأنقياء صفاء في السريرة ونقاء في السيرة . دعاؤهم :
 «اللهم قنا شح أنفسنا ، اللهم قنا شح أنفسنا» ﴿وَمَنْ يُوقَ
 شَحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾^(١) .
 وستقرأ كثيراً من المواقف التي تبرهن على ما أقول .
 ولكن خاطب النفس وقل لها :

ويحك يا نفس احرصي
 على ارتياح المهاجر
 وطاعة ملدي وأخلصي
 واستمعي النصح وعي
 واعتبري به من مضى
 من القرون وانقضى
 واخشي مفاجأة القضا
 وحاذري من أن تخدعني

(١) سورة الحشر ، الآية : ٩

لماذا الحديث عن الأنقياء؟

أخي الحبيب: أيها الأخ المسلم يا من نلتقي وإياك على لا إله إلا الله. أدعوك وأنت تقرأ هذه الكلمات، أدعوك إلى التجرد من الهوى وترك حظوظ النفس. تجرد من حب التصدر والزعامة. تجرد من التعالم، وتجرد من الكبراء والغرور ومن الحقد والحسد، تجرد من كل الأمراض القلبية. فإني أريدك أن تقرأ كلماتي بقلب سليم، بقلب ذلك المسلم الطيب التقى النقى، فأنت خُلقت لعبادة الله ومرضاته وطلباً لجحاته.

أيجوز يا أخي الحبيب ملئ كأن هذا هو هدفه ومقصده من هذه الدنيا أن يغفل عن قلبه فيطلق لهذه المضعة العنوان في البغضاء والشحناء، والانتقام والتشفي.

أخي الحبيب أيها المسلم: لماذا أصبحنا نسمع كلمات الذم أكثر من سمعنا لكلمات الثناء؟! لماذا أصبحنا نسمع كلمات التنقص أكثر من سمعنا لكلمات التثبت؟! كيف

غفلت عن هذه المضعة التي «إذا صلحت صلح الجسد كله،
وإذا فسدت فسد الجسد كله»^(١).

(١) جزء من حديث عند البخاري برقم (٢٠٥١،٥٢) ومسلم
وأحمد (٤/٢٦٩ - ٢٧٠) وأصحاب السنن الأربع.

ماذا نريد؟

سلامة الصدر، طهارة القلب، صفاء النفس: كلمات نادرة الاستعمال وعزيزه الذكر، لا نكاد نسمعها في مجالسنا ومنتدياتنا. موضوعات كثيرة تلك التي نتحدث عنها لكنها لا تخلو من غيبة ملبيّة بلباس النصيحة، أو من حديث يشفى الغليل ويرضي الخليل، أو من همز ولز وانتصار للنفس. فيا من في قلبك خوف من الله عز وجل: إننا نريد أن نسمع كلمات الحب والإخاء، والصدق والوفاء، والنصح والصفاء، نريد أن نسمع كلمات الشكر والعرفان، وذكر الفضل والإحسان، نريد أن نسمع عن جمع القلوب، وعن توحيد الكلمة، وعن الإصلاح بين الناس، وكل ذلك وللأسف في مجالسنا عزيز. إنني أصغي سمعي لعلي أسمع إلى التماس الأعذار، وذكر محسن الأبرار، فيرتد سمعي خاسيًّا وهو حسیر - إلا ما شاء الله -، ولكنني كليًّا أمل فيكم يامن تقرأون كلماتي، وأملي في الله، ثم في مشائخني وأساتذتي وإخوانى الدعاة وشباب الصحة خاصة، وجميع المسلمين

عامة، كلي أمل أن نهضم أنفسنا ونعرف قدرها، وأن نحمل على عاتقنا نشر هذا الموضوع - سلامـة الصدر - وإـكثار الحديث عنه وتكراره في كل مكان وعلى كل لسان، لا نـمل الحديث عنه أبداً، بل نجعلـه شعاراً لنا في كل مـيدان: في مـيدانـ العلم، وفي مـيدانـ البيـع والـشـراء، وبينـ الرـجـالـ والـنسـاءـ، وبينـ العـامـةـ والـخـاصـةـ. في مـدارـسـناـ وـفـيـ جـامـعـاتـناـ، فيـ أـسـوـاقـناـ، فيـ مـجاـلسـناـ وـبـيـوـتـناـ. فـلـنـمـلـأـ قـلـوبـناـ بـخـوفـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، وـحـبـ الـخـيرـ لـلـآخـرـينـ، فـإـنـاـ نـشـعـرـ بـقـسوـةـ الـقـلـبـ وـأـمـتـلـاءـ النـفـسـ، وـجـفـافـ الـعـيـنـ مـنـ الدـمـعـ. ليـكـ هـجـيرـ كـلـ وـاحـدـ مـنـاـ: اللـهـمـ إـنـيـ أـسـأـلـكـ قـلـباـ سـلـيـماـ. وـلـنـرـدـ كـثـيرـاـ وـفيـ كـلـ لـحـظـةـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

هـذـاـ مـاـ نـرـيدـ، فـهـلـ نـسـتـطـيعـ؟ لـنـحاـولـ وـلـنـجـاهـدـ أـنـفـسـناـ، فـإـنـ الـعـلـمـ بـالـتـعـلـمـ، وـالـحـلـمـ بـالـتـحـلـمـ. وـلـعـلـ هـذـهـ الأـسـطـرـ تـكـوـنـ عـونـاـ لـكـ، نـسـأـلـ اللهـ العـونـ لـلـجـمـيعـ.

(١) سـورـةـ الحـسـرـ، الآـيـةـ: ١٠ـ.

● عناصر هذا الموضوع:

- ثلاثة قبل البداية.
- القرآن يدعوك.
- صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء.
- تكامل الشخصية في حياة السلف.
- نتائج سلامة الصدر ونقاؤة القلب وآثاره.
- أسباب امتلاء الصدر وغل القلب، وكيف السبيل إلى سلامة الصدر وتنقية القلب.
- ثلاثة قبل النهاية.

ثلاثة قبل البداية

● أما ثلاثة قبل البداية، فتنبه لها جيداً، وأرعني قلبك -
بارك الله فيك -

فالأولى: راجع نفسك بعد قراءة هذه الكلمات، واعلم
أن الكلام موجه إليك لا لغيرك وأرجو أن تفهم نفسك،
واحسب أن الآخرين من المسلمين خير منك عند الله تعالى:
«فرب أشعث أغرب ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»^(١).
لا تنظر إلى نفسك بنظرة الزهو والفاخر والارتفاع، فكم من
مسكين خير منك عند الله، وكم من عامي هو خير منك عند
ربك ربما، بينما أنت مازلت تنظر لنفسك في عجب وفي كبر
والعياذ بالله .

(١) أخرجه الحاكم (٣٢٨/٤)، وعند الترمذى (٣٨٥٤) بلفظ «كم
من أشعث أغرب» وصححه الألبانى فى مشكلة الفقر برقم
(١٢٥).

يا أخي الحبيب : أما سمعت لقول بكر بن عبد الله المزني - وهو واقف بعرفة ينظر إلى الناس - لا إله إلا الله لو لا أني فيهم لقلت قد غفر الله لهم^(١) .

يقول الذهبي معلقاً على هذه العبارة في السير^(٢) . «كذلك ينبغي للعبد أن يُزري على نفسه ويهضمها». اهـ.

الأمر الثاني : اعلم أن سلامة الصدر وتنقية القلب مطلب عزيز، والحرص عليه واجب، وبذل الأسباب إليه وسلوك طريقه متعين. ولكن لا تنس أن الناس بشر، وأن النفس ضعيفة. فلابد من الخطأ، ولابد للنفس أن تتأثر فتنبه لهذا، وعامل الآخرين بحسبه. ولهذا يقول سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - : «إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، ومن كان فضله أكثر من نقصه وُهِب نقصه لفضله»^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٩/٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٥٣٤).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٨١)، والبداية والنهاية لابن كثير =

سامح أخاك إذا خلط
 منه الإصابة بالغلط
 وتجاوز عن تعنيفه
 إن جاف يوماً أو قسط
 واعلم بأنك إن طلب
 مت مهذباً رمت الشطط
 من ذا الذي ما ساء قط
 ومن له الحسنة فقط

ثالثاً: لست بالخوب ولا الخب يخدعني^(١).
 لا ينافي سلامة القلب والأخذ بالظاهر، ولكنه يعني
 الحيطة والحذر، فعليك أن تكون فطناً متبهاً. فالله سبحانه
 وتعالى يقول للمؤمنين ﴿خُذُوا حِذْرَكُم﴾^(٢) ويقول

= ٩٤ / ١٠٧ .

(١) هذه الجملة مما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر:
 سراج الملوك للطرطوشي ص ٥٦، والروح لابن القيم: ت
 الجميلي ص ٣٦٢ في باب «الفرق بين سلامة القلب والبله».

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).
بعد هذه الثلاثة والتي أرجو أن تتبه لها جيداً لراجعتها
في نفسك فكلنا بحاجة لها أقول :

● إن القرآن يدعونا جميعاً، يدعونا في أكثر من سورة وفي
أكثر من آية مثل هذا الموضوع. إن قرآننا هو كلام ربنا وهو
دستور حياتنا، وهو منبع صفاتنا، وميزانا الذي نحتكم
إليه عند خلافنا، بل في حياتنا وأمورنا.

وها هو القرآن يدعوك لبراءة القلب من الغل للذين
آمنوا. ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ أَمْنَوْا﴾^(٢). والقرآن يدعوك فيقول :
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْمَعْرِفَةِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِحِلِينَ﴾^(٣). والقرآن
يدعوك فيقول : ﴿فَاغْفِرْ وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(٤).

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

والقرآن يدعوك فيقول: ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَإِنْ
تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).
والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ
أَجْمَيلَ﴾^(٣). والقرآن يدعوك فيقول: ﴿قُولٌ مَّعْرُوفٌ
وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذْنَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾^(٤).
والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥). والقرآن يدعوك
فيقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٦).
وأخيراً القرآن يا أخي الحبيب يدعوك فيقول: ﴿وَلِيَعْفُوا

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٦) سورة الشوراء، الآية: ٨٩.

وَلَيَصْفُحُوا أَلَا تَحْبُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١﴾ «ألا تحبون أن يغفر الله لكم»؟ بل والله إننا نحب أن يغفر لنا ربنا، قالها أبو بكر الصديق^(٢) - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - مع سخاء نفسه وسلامة صدره ونصحه للأمة، فماذا نقول نحن وهذه حالنا مع قلوبنا؟!

أخي الحبيب: هلا وقفت مع هذه الآيات وتدبرتها جيداً. إن القرآن يدعوك ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا﴾^(٣) أسمعت جيداً هذه الآيات؟! تدبرها وقف معها طويلاً فكم من الخلاف يقع بيننا وبين أصحابنا، وكم من المشاجرات والخصومات تقع بيننا وبين الناس، وإذا رجعنا للقرآن وجدنا هذه الآيات

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) قالها أبو بكر الصديق في قصة الإفك التي أخرجها البخاري برقم (٤٧٥٠، ٤١٤١) وانظر أطراافها فيه (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠) والترمذى برقم (٣١٨٠) وانظر السيرة لابن هشام (٢٩٧/٢)، (٣٠٧) وزاد المعاد (٢٥٨/٣).

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

تخدونا إلى العفو والصفح عن المؤمنين وعن الناس ﴿فَمَنْ عَفَّ كَا وَاصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). تدبر قوله: ﴿فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾
 بما أعظم هذا الأجر فهو من مالك الملك جلا وعلا. فلما
 تحرم نفسك هذا الأجر؟!!

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء

قلبتُ صفحات التاريخ ونظرت في كتب السير والترجم. فوجدت عجباً! فيعلم الله إن العين لتدمع والإنسان يقرأ مثل هذه المواقف. يا للعجب! أهؤلاء بشر؟!! ما أنقى قلوبهم؟! وأين قلوبنا من هذه القلوب؟! وقبل أن أبدأ وإياك بذكر هذه الصور لا تنس أن من أراد فهم هذه الدرجة من تنقية القلب وسلامة الصدر كما ينبغي فلينظر أولاً إلى سيرة النبي - ﷺ - مع الناس يجدها مليئة، بل يجد هذه الدرجة بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه - ﷺ - ^(١).

- ثم تعال للصورة الأولى: (وهي التي لا تطاق). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال: كنا جلوساً مع النبي - ﷺ - فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من

(١) انظر الشمائل المحمدية للترمذى، وأخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ الأصبهانى، والشفا للقاضى عياض . وغيرها.

أهلة الجنة». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال. فلما كان من الغد قال رسول الله - ﷺ - مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله - ﷺ - مثل مقالته أيضاً.

فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام رسول الله - ﷺ - تبعه عبدالله بن عمرو - أبي تبع الرجل - فقال للرجل: إني لاحيت أبي - أبي وقع بيني وبين أبي خصومة - فأقسمت أبي لا أدخل عليه ثلاثة، فإن رأيت أن تأوييني إليك حتى تمضي، فعلت. قال الرجل: نعم. قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تumar (تقلب على فراشه) ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبدالله: غير أبي لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحقر عمله. قلت: يا عبدالله، لم يكن بيني وبين أبي غصب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنتَ الثلاث مرات. فأردت أن آوي إليك لأنظر ما

عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - ﷺ -. قال - أي الرجل -: ما هو إلا مرأيت. قال عبدالله: فلما وليت دعاني فقال الرجل: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبدالله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق»^(١).

(١) رواه أحمد (١٦٦/٣) وفي الفتح الرباني (٢٣٩/١٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤٩٣ برقم (٨٦٣) والزهد لابن المبارك ص ٢٤١، وعبدالرزاق (١١/٢٨٧) والطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٧٢). والبزار كما في كشف الأستار (٤٠٩/٢) والبيهقي في الشعب (٥/٢٦٤ - ٢٦٥). وانظر مجمع الزوائد. قال المنذري في الترغيب (٣/٥٤٩) ت: «عمارة»: «إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم والنسائي». وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/١٨٣٦) برقم (٢٩١٤): «رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشعيبين». وأعلَّ الحافظ المزي في تحفة الأشراف (١/٣٩٥). وكذا ابن حجر في النكت عليها إذ قال: «وقد ظهر أنه معلم». =

قال ابن كثير: رواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به. وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس. فالله أعلم^(١).

أسمعت أهلاً الأخ الحبيب: «غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه».

إن قلب المؤمن المطمئن بذكر الله، النابض بحلوة الإيمان، لا يحتمل أبداً أن يحمل بين جنباته حقداً على أحد من المسلمين. إنَّ من كان في قلبه إيمانٌ صادقٌ، لا يحتمل أبداً أن يحمل حقداً على أحد من إخوانه.رأيتم معاشر الأخوة: كيف أن تنقية القلب، وتنقية الصدر من الغل والأحقاد والحسد والغش للMuslimين، كيف كان سبباً

أما تعين الصحافي ففيه كلام طويل يراجع تخریج العراقي السابق، وكتاب الرسول المعلم ص ١٨٠ - ١٨١ لأبي غدة.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٧)، سورة الحشر، الآية: ٩.

لدخول الجنة. هذا الرجل لم يكن يقوم الليل، ولم يكن له كبير عمل، ولكن العمل الذي كان سبباً في دخوله الجنة: هو أنه لا يجد في نفسه حسداً لأحد. وليس في قلبه غشٌ على أحد من المسلمين. الله أكبر! متى تتحقق هذه الصفة في المسلم الذي يركع ليله ونهاره طالباً مرضاه الله وطالباً جنان الفردوس! أين العباد؟ أين الرهاد من هذا الفعل؟ كم نجاهد أنفسنا على الصلوات والصدقات والصيام وغيرها من الأعمال والعبادات. ولكن الأمر ليس بكثرة صيام ولا صلاة ولا صدقة، إنما شيء وقر في القلب: الصدق مع الله، وسلامة الصدر، وتنقية هذا القلب من الغل والحقن والغش للمسلمين.

الصورة الثانية:

(أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟)

أخرج أبو داود في الأدب باب: في الرجل يحمل الرجل قد اغتابه، والطبراني في مكارم الأخلاق باب: فضل كظم الغيط. وأخرجه أيضاً ابن السنى في عمل اليوم والليلة باب: ماذا يقول إذا أصبح. ثلاثة من حديث قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم. قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: «رجل كان إذا أصبح يقول: اللهم إني قد وهبت نفسي وعرضي. فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه» هذا لفظ الطبراني وابن السنى وهو ضعيف. وأخرجه أبو داود من وجه آخر موقوف على قتادة. وأخرجه البخاري أيضاً في التاریخ في ترجمة محمد بن عبدالله

العمي^(١). وقال ابن حجر^(٢): «وقد أخرجه أبو بكر البزار

(١) لهذا الحديث أربع طرق:

- الأول: ما رواه أبو داود برقم (٤٨٨٧) والعقيلي ٩٣/٤ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت - أي البناني - عن عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً.

- الثاني: ما رواه أبو داود برقم (٤٨٨٦) من طريق عمر عن قتادة من قوله.

- الثالث: ما أخرجه البخاري في تاريخه (١٣٧/١) والعقيلي ٩٣/٤ والبزار من طريق محمد بن عبد الله العمي ثنا ثابت عن أنس مرفوعاً.

- الرابع: ما أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٥٣) وابن السندي في عمل اليوم والليلة (٦٥) من طريق عمران عن قتادة عن أنس مرفوعاً.

قال أبو داود في سنته: وحديث حماد أصلح. يعني الطريق الأول. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار ٣٩٥/٢: فتحصلنا من ذلك على أن الطريقين الموصولين (يعني الثالث والرابع) شاذان، وأن المحفوظ عن قتادة مقطوع (أي الطريق الثاني) وعن ثابت مرسلاً (أي الطريق الأول).

(٢) تنبية: القائل هنا: ابن حجر، وقد ذكرته في الشريط من قول البخاري، وهو سهو مني لتدخل الكلمات، نبهني إليه أحد الإخوة الفضلاء جزاء الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

في مسنده والعقيلي - أي في الضعفاء - وكذلك الساجي والبيهقي في الشعب^(١). وقال الألباني في الإرواء عن هذا الحديث : «والمحفوظ عن قتادة . وإسناده صحيح إلى قتادة»^(٢) ثم ذكره في صحيح أبي داود وقال : «صحيح مقطوع»^(٣) .

أرأيت صفة أبي ضممض هذا . اسمع ماذا قال عنه ابن القيم - رحمه الله تعالى - : والجود عشر مراتب . ثم ذكرها . فقال : والسابعة : الجود بالعرض . كجود أبي ضممض من الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أصبح قال : اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس ، وقد تصدقت عليهم بعرضي ، فمن شتمني أو قدفني فهو في حل . فقال النبي ﷺ : «من يستطيع أن يكون منكم كأبي ضممض». وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب من معاداة الخلق ما فيه^(٤) .

(١) نتائج الأفكار (٣٩٤ / ٢).

(٢) إرواء الغليل للألباني (٣٣ / ٨).

(٣) صحيح أبي داود (٩٢٤ / ٣).

(٤) في المدارج (٢٩٣ - ٢٩٥) ت : الفقي .

الصورة الثالثة: (ما عندي إلا عرضي)

وقد أخرج هذا الحديث البزار كما في كشف الأستار في كتاب الزكاة باب: فيمن تصدق بعرضه. وانتبه أيضاً للترجمة «باب: فيمن تصدق بعرضه». أخرجه من حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ حث يوماً على الصدقة. فقام علبة بن زيد. فقال: ما عندي إلا عرضي - فإني أشهدك يا رسول الله أني تصدقت بعرضي على من ظلمني ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ: «أين علبة بن زيد»؟ قال لها مرتين أو ثلاثة. قال: فقام علبة. فقال: «أنت المتصدق بعرضك قد قبل الله منك»^(١).

(١) كشف الأستار (٤٥٥/١) برقم (٩٥٨) والخطيب في الأسماء المبهمة ص ٢٣٥ برقم (١١٨) المستفاد لابن العراقي (٥٠٥/١) برقم (١٨٩) والإصابة لابن حجر (١١٢/٤)، (٥٠١/٢).

قال الهيثمي^(١): «رواه البزار وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف». وأيضاً رواه البزار من حديث صالح مولى التوأم عن علبة بن زيد قال: حدث رسول الله ﷺ على الصدقة. فقام علبة فقال: يا رسول الله: حثت على الصدقة وما عندي إلا عرضي. فقد تصدقت به على من ظلمني. قال: فأعرض عنه. فلما كان اليوم الثاني. قال: أين علبة بن زيد، أو أين المتصدق بعرضه، فإن الله تبارك وتعالى قد قبل ذلك منه»^(٢). أو نحو ذلك. وهذا أيضاً قال عنه الهيثمي: «رواه البزار وفيه محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف». كما في مجمع الزوائد.

وللحديث علبة شاهد صحيح إلا أنه لم يُسم فيه. ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/٥٠٠). من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة «أن رجلاً من

(١) مجمع الزوائد (٣/١١٤). والصواب أنَّ «كثيراً» هذا متزوك كذبه الشافعي وأبوداود وابن حبان.

(٢) كشف الأستار (١/٤٥٦ - ٤٥٥) برقم (٩٥٩).

ال المسلمين قال: «اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به، وإنني جعلت عرضي صدقة». قال: فأوجب النبي ﷺ أنه قد غُفر له»^(١).

إذاً: فانظر لحال صحابة رسول الله ﷺ، هذا أبوضمض، وهذا علبة بن زيد، وغيرهم كثير كانوا يتصدقون بأعراضهم - رضوان الله تعالى عليهم - يعفون ويصفحون عن سبهم أو شتمهم أو ضربهم أو اغتابهم أو ذكرهم في شيء لا يرضونه. فماذا نقول عن أنفسنا أيها الأحبة.

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١١٢) بهامش الإصابة: أظنه أبوضمض قال ابن حجر: وما توهماه - ابن عبد البر والحاكم أبوأحمد - من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبوضمض خطأ، بل هو علبة بن زيد الأنصاري.

الصورة الرابعة:

(بئس ما قلت، والله ما نعلم إلا خيراً)

هذه المقالة قالها معاذ بن جبل - رضي الله عنه - دفاعاً عن كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك ، قال كعب : لما بلغ النبي ﷺ تبوك ذكرني وقال ما فعل كعب؟ فقال رجل من قومي : خلفه يا نبي الله برداه والنظر في عطفيه . فقال معاذ بن جبل - وكان حاضراً فسمع - : «بئس ما قلت والله ما نعلم إلا خيراً»^(١) .

أسمعت هذا الموقف ، لقد كان بإمكان معاذ رضي الله عنه السكوت تأدباً أمام رسول الله ﷺ ولن يعيّب عليه النبي ﷺ سكوته ، ولكنه أعلن الحق الذي امتلاه به قلبه . لم يطق معاذ أن يسمع هذه الكلمات بأخيه كعب ، فأعلن الحق

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك وتوبيه . أخرجه البخاري مطولاً برقم (٤٤١٨) وانظر أطرافه في حديث رقم (٢٣٠٧).

الذي في قلبه. انتصاراً لكعب بن مالك - رضي الله عنهم جميعاً - إنه الدفاع والذب عن عرض أخيه، فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ كم نسمع في مجالسنا وفي منتدياتنا من يذكر فلاناً وعلاناً من إخواننا من المسلمين من يصلّي ويصوم ويشهد ألا إله إلا الله، نسمع الكلمات التي تُذكَر في عرضه. فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ بل ربما أن البعض يتلذذ بالسماع، ويأنس بمثل هذه الكلمات - عياذاً بالله - ولكن صحابة رسول الله تربوا على هذا المنهج، إنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، ودمه، وماله»^(١). فعلموا حرمة ذلك. وعن أبي الدرداء أيضاً عن النبي ﷺ قال: «من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيمة» كما أخرجه الترمذى^(٢) في سننه

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه الترمذى برقم (١٩٣١) وقال حديث حسن قال الألبانى: وهو كما قال «إن شاء الله» غایة المرام ص ٢٤٧ وصححه في صحيح الجامع برقم (٦٢٦٢).

في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن المسلم،
وإسناده صحيح^(١).

- واسمع لهذا الموقف، قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحًا فيه أسماء شيوخ، فلان رافضي وفلان كذا ووكيع رافضي. فقلت - أي يحيى بن معين - مروان : وكيع خير منك. قال مروان: مني؟! - استفهام تعجب - قلت: نعم. قال: فسكت. ولو قال لي شيئاً لوثب أصحاب الحديث عليه. قال - أي يحيى -: فبلغ ذلك وكيعاً فقال وكيع: يحيى صاحبنا. وكان بعده ذلك يعرف لي ويرحب^(٢).

انظر أثر الدفاع عن العرض في قلب وكيع - رحمه الله تعالى - أصبح يحيى بن معين حبيباً إلى قلبه، أصبح يرحب به كثيراً. هكذا يكون جمع القلوب. هكذا إذا أردنا أن نحب

(١) صحيح الترمذى (١٨١/٢) للألبانى.

(٢) ميزان الاعتدال (٤/٣٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٩/١٥٤).

وعزاه محققه إلى تاريخ بغداد ٤٧٠/١٣.

النفوس بعضها ببعض . هكذا إذا أردنا أن نرصن الصنوف في وجوه أعدائنا . أن يعلم كل فرد منا أنه محام عن أمراض إخوانه المسلمين في كل مكان . في أي مجلس كان وأمام كائن من كان مهما بلغ من المرتبة والشرف . مadam أنه تجرأ على عرض أخي من إخواننا المسلمين . يجب أن أقف وأذب عن عرض هذا المسلم ، هكذا يكون الإنسان محبوباً عند الناس ، لا ، بل هكذا يكون محبوباً عند الله قبل كل شيء ، ومن أحبه الله أحبه الناس .

الصورة الخامسة: (سررتيني سرّكِ الله)

ذكر الذهبي^(١) في السير بسنده إلى عوف بن الحارث أنه قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة - أي زوجة رسول الله ﷺ عند موتها - فقالت: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. قلت - أي عائشة - غفر الله لك كله وحللك من ذلك فقالت أم حبيبة: سررتيني سرّكِ الله . تقول عائشة: وأرسلت أم حبيبة إلى أم سلمة . فقالت لها مثل ذلك^(٢) .

انظر تصافي القلوب بين أمهات المؤمنين ، ما أحلى هذه القلوب إذا اجتمعت على المحبة ، وحرست على تنمية

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٠٠)، والمستدرك للحاكم (٤/٢٢) -

القلوب من الغل والحدق والحسد.

أقول: كم نسمع نساءنا يتحدثن في المجالس عن فلانة وعلانة، ولربما كانت لها كثيراً من السب والشتم - عيادةً بالله - إنها تتكلّم عن مسلمة، وعائشة رضي الله عنها لما أشارت إلى رسول الله ﷺ، بيدها فقط عن صفيه أنها قصيرة. قال: «ألا إنك قلت كلمة - أو فعلت فعلًا - لو مزج بما البحـر لـزجـته^(١)». فقط تعني أنها قصيرة. فهلا تنبئ لهذا الأمر نساـونـا فـكـمـ منـ الحـسـنـاتـ تـذـهـبـ، وـكـمـ منـ السـيـئـاتـ تـكـتـبـ فيـ مـثـلـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ؟!!

(١) رواه أبو داود برقم (٤٨٧٥) والترمذـي برقم (٢٥٠٢) وأحمد (١٨٩/٦) وصححه الألبـاني في غـاـيـةـ المـرـامـ رقم (٤٢٧) وفي صحيح الجامـعـ.

الصورة السادسة: (إذن تقع في الشغل)

صورة قصيرة لكنها كبيرة المعاني. قال رجل لعمرو بن العاص - رضي الله عنه -: «والله لأتفرغن لك». - يعني بالكيد والتشفي والانتقام وغير ذلك - فماذا كان رد عمرو؟ فقال عمرو بن العاص - بذكائه وعقله -: «إذن تقع في الشغل - إذن تقع في الشغل».

ولاشك أن قول عمرو هو الصواب. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١). كم نحب أن نسمع مثل هذه الكلمات. «إذن تقع في الشغل»؛ لأن القلب الذي امتلأ بالحسد والانتقام من الناس وتتبع زلاتهم، والتشفي منهم، قلب مشغول دائماً. أما القلب السليم الذي امتلأ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

سلامة الصدر، وحب الناس وجمع القلوب، فهو لا يفكر إلا فيما ينفعه: كطلب علم، أو عمل خير، ونحوهما. أما أعراض الناس فهو بريء منها؛ لأنَّه يخاف الله.

الصورة السابعة: (ما عرفني إلا أنت)

أيضاً موقف قصير ولكنه كبير بمعانيه، في سيرة سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - أن رجلاً زاحمه في منى - وأنتم تعلمون حال الناس في منى كيف يكون، وكيف تبلغ الفوся مبلغها في مثل هذه المواقف نظراً للزحام الشديد - أن رجلاً زاحمه في منى فالتفت الرجل إلى سالم - وسالم هذا علامة التابعين - رضي الله عنه - فقال الرجل لسالم: إبني لأظنك رجل سُوءٍ. فبماذا أجاب سالم رضي الله عنه؟ قال كلمتين. قال: ما عرفني إلا أنت^(١). سبحان الله! هكذا كان إزراوهم بأنفسهم - رضوان الله عليهم - مع سعة علمهم، وكثرة عبادتهم، وجهادهم، وكثرة خوفهم

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٩٠/٢).

وبكائهم من الله جل وعلا، - أما نحن فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلو رکعنا رکعة، أو دمعة العين دمعة، لرأينا أنفسنا أزهد الزهاد لا إله إلا الله! «ما عرفني إلا أنت» رحمك الله يا سالم.

الصورة الثامنة:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١)

ذكر الذهبي في السير^(٢) في ترجمة البخاري محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح - رضي الله عنه - قال - أي الذهبي - وكان كثير من أصحابه يقولون له - أي للبخاري - إن بعض الناس يقع فيك - لو قيلت هذه الكلمة لأحدنا ماذا سيقول؟! ربما يُبادر، ويقول مباشرة ماذا يقولون؟ ومتى؟ ومن هم؟ - أما الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - لما قيلت له هذه الكلمة (إن بعض الناس يقع فيك)، قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣)، ويتلحق أيضاً

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٦١/١٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ أَسَيْئَةٌ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(١). هذا والله هو الفقه ، وهذه هي البصيرة والحكمة ، ولكن من يؤتى بهذه البصيرة ، ومن يؤتى هذه الحكمة ؟! ولذلك إذا قلنا للناس تعلموا واقرءوا في سير الرجال واستفيدوا منها . رأينا كثيراً منهم يعرض عن هذا ، وما علم أولئك المساكين أن في النظر لحياة الأولين وترجمتهم حياة للقلوب . فإذا سمعت الناس يغتابونك ، أو يذكرونك بسوء فأنت أعلم بنفسك ، وأعلم بما بينك وبين الله جل وعلا . فاعف عنهم واصفح ، وسترى أثر ذلك ومن كاد لك ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ أَسَيْئَةٌ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

فقال عبدالمجيد بن إبراهيم للبخاري : كيف لا تدعوا الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتجاوزونك ويبهتونك ؟! فقال البخاري : قال النبي ﷺ : «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٢) . وقال أيضاً وقال رسول الله ﷺ : «من دعا على

(١) سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٠) وأطرافه في (٧٢٤٥) ومسلم برقم =

ظالمه فقد انتصر»^(١). إنه - رحمه الله - لا يفكر بمجرد الدعاء على من ظلمه وبهته فضلاً على أن يشغل نفسه أو يضيع وقته في التقصي، وتتبع الزلات منهم. فرضي الله عن أولئك الأنقياء ورحمهم الله رحمة واسعة .

(١) رواه الترمذى برقم (٣٥٥٢) وضعفه الألبانى فى الجامع الصغير وعزاه إلى السلسلة الضعيفة له (٤٥٩٣).

الصورة التاسعة:

(إن كنت صادقاً فغفر الله لي)

ذكر الذهبي في السير^(١) قال: عن أبي يعقوب المدني أنه قال: كان بين حسن بن حسن، وبين علي بن الحسين - يعني زين العابدين - بعض الأمر. فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين زين العابدين، وهو جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك حسن شيئاً إلا قال له . - يعني ما ترك سبأ ولا شتماً إلا قاله لزين العابدين وهو جالس مع أصحابه - قال - أي أبي يعقوب المدني - قال: وعلى ساكت. فانصرف حسن. فلما كان من الليل أتاه في منزله. زين العابدين - ذهب إلى حسن بن حسن في الليل فครع عليه بابه. فقال له:

(١) سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٤) وعزاه محققه إلى تاريخ دمشق لابن عساكر.

يا أخي إن كنتَ صادقاً فيما قلتَ لي، فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، السلام عليكم.

هذا الموقف! وهل انتهى؟ لا، فانظر لنتيجة الصبر وحسن الخلق، قال: فإذا بالحسن يتبعه ويلزمه من الخلف، ويُبكي بكاءً شديداً حتى رثى زين العابدين حاله. فقال الحسن لزين العابدين: لا جرم لا عدتُ في أمر تكرهه فقال زين العابدين: وأنت في حل مما قلت لي.

إذا تشاجر في فؤادك مرة
أمران فاعمد للأعف الأجمل

وإذا هممت بأمر سوء فاتئد
وإذا هممت بأمر خير فافعل

إنه الصبر أية الأحبة، إنه هضم النفس حتى ولو كان الحق معها، هكذا صفة الرجال وهكذا من أراد العلياء وعزّة النفس.

طلقتْ تطليقَ الثلاثِ رغائبِي
وكتبَتْ للعلياءِ عقدَ نكاح

وانظر أيضاً لإنصاف الذهبي - رحمه الله تعالى - لابن حزم عندما ترجم له في السير^(١). قال الذهبي عن ابن حزم: قد أخذ المنطق أبعده الله من علم، عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه فززله في أشياء، ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوفقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكرره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفروط ذكائه وسعة علومه.

هكذا يكون المؤمن الذي يأمر بأمر الله ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْئِي﴾^(٢). فهل سمع شبابنا مثل هذا الموقف، وهل اقتدى شبابنا غفر الله لنا ولهم بسلفنا الصالح - رضوان الله تعالى عليهم -. أيها الشباب، أيها المسلمون :

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠١ / ١٨) - (٢٠٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

لا تخسوا جهود بعضكم بعضاً، ولا تحقرروا أعمال بعضكم لبعض، فكل منكم على ثغر، وكل منكم على خير، والميدان يتسع للجميع، بل هو بأمس الحاجة لكل عمل، لكل كلمة طيبة، لكل جهد وافق الكتاب والسنة. فهلا سمعنا وعقلنا.

وانظر لهذا الموقف أيضاً وتدبره جيداً، فكم نحن بحاجة إليه. قال الذهبي : قال الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد : هذا كتبته من حفظي وغاب عن أصلي : أن عبدالله بن عبدالعزيز العمري العابد كتب إلى مالك يخصه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك : أن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فُتح له في الصلاة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فُتح له في الصدقة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد . فنشر العلم أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر^(١).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث (١٧١ - ١٨٠) ص ٣٢٩.

فيشباب الأمة :

نحن بحاجة للجميع ، فهذا يحفظ القرآن ويعلمه ، وهذا يطلب العلم وينشره ، وهذا يعظ الناس في المساجد والقرى ، وهذا ينكر المنكرات في الأسواق وفي الأماكن العامة ، وهذا على منبره ، وذاك بقلمه ، والأخر بماله ، وهذا بتوزيع الشريط والكتاب ، وذلك بتوزيع الطعام واللباس ، وهذا بالرحلات والمخيomas ، وهذا بالدعوات الصادقات . ولا يخلو الجميع أبداً من خطأ و «كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون»^(١) . وهذا يصحح لهذا وهذا يوجه هذا ، وهذا يعين هذا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مع التماس الأعذار والعفو والصفح . هكذا يجب أن نكون ، وهكذا يجب أن نتعامل ، بل يجب أن ننشر في مجالسنا ومنتدياتنا هذه المفاهيم لدى الكبار والصغار والرجال

(١) هذا حديث أخرجه الترمذى برقم (٢٤٩٩) وأحمد (١٩٨/٣) وابن ماجه برقم (٤٢٥١) والدارمى (٣٠٣/٢) أربعتهم من حديث أنس، وحسنه الألبانى في الجامع الصغير وفي المشكاة.

والنساء ليُشرّقَ أعداء الإسلام بتراص الصفوف وبجمع القلوب، وبتوحيد الكلمة.

فإن قال قائل: لا. فنقول: إن لم تكن من هؤلاء فقل خيراً أو اصمت. واعلم يا أخي الحبيب: «أن المسلم: من سلم المسلمين من لسانه ويده»^(١). فكف عن المسلمين لسانك ويدك، واتركهم يعملون، كلّ بما يستطيع، فالله جل وعلا مطلع على عباده، وهو وحده يعلم ما تكن القلوب.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠، ٦٤٨٤)، ومسلم برقم (٤١) وأحمد
عن أنس، وعبد الله بن عمرو.

الصورة العاشرة والأخيرة: (لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة)

قال أبوالربيع محمد بن الفضل البلخي : سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مائتي سنة . قال ابن مهرويه : فدخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل ، فحدثه بهذا . فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتابُ من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية^(١) .

سبحان الله ، والله إن العين لتدمع ونحن نقرأ مثل هذه المواقف . بكى رضي الله عنه وأرضاه لماذا؟ يقول الذهبي معلقاً على هذا الموقف : أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة ، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله والذب عن السنة». ا. ه

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٩٥).

وهذا مطلوب منه يؤجر عليه، ومع ذلك ترتعد يداه، ويبكي - رضي الله تعالى عنه -؛ لأنه تكلم في رجال لأمر واجب. فماذا نقول ونحن في المجلس، بل ربما في الساعة الواحدة تتكلم عن عشرات الناس. ماذا نقول ونحن نسمع كثيراً من إخواننا - عفا الله عنهم وغفر لهم - وما يذكرون في كثير من المشايخ والعلماء وطلبة العلم والصالحين؟! سبحان الله ما وجدنا إلا هؤلاء نخوض في أعراضهم ونتكلم عنهم؟! أين أنت عن المنافقين، وأين أنت من اليهود ومن النصارى، وأين أنت من أعداء الدين الذين يكيدون للدين ليلًا ونهاراً.

رحم الله ابن المبارك يوم جاءه ذلك الرجل فذكر له قوله في إخوانه. فقال له ابن المبارك: «عجبًا سلم منك اليهود والنصارى، ولم يسلم منك إخوانك» كلمات تكتب بمداد الذهب.

**وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسامُ**

● تكامل الشخصية في حياة السلف رضوان الله تعالى عليهم:

في العنصر السابق تكلمنا عن صور ومواقف منتشرة، وإليك في هذا العنصر وقفة سريعة لحياة عَلَمِين فاضلين. فإذا نظرت لحياة هؤلاء الرجال وجدتها مدرسة في جميع الجوانب: في العلم، في الجهاد، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في العبادة، في الحرص على النوافل، في الخوف من الله، في الزهد، في الورع، في التواضع، في حسن الخلق، في كل شيء.

حدث بما شئت من حلم ومن كرم
وانشر ما شرهم فالباب متسع
أما اليوم، فتعال وانظر حالنا، فظاهرها الصلاح وقد
نُحسب في القدوات والسدادات، والله وحده أعلم بسرائرنا.
نُعجب بأقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وانتصارنا لأنفسنا
وتتصدرنا وعُجبنا بذواتنا، وإذا وقفت مع حالنا مع النوافل
والطاعات، أصابتك الحسرات والأهات، وقل مثل ذلك في

طلبنا للعلم، وفي أمرنا ونهينا للمنكر، وإهمالنا لقلوبنا، وحملنا على الآخرين وجراحتهم ونبرهم، وأستغفر الله أن أعمم، ولكن كل منا أعلم بنفسه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١)، ﴿إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
أَسْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقٌ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢).

أخي الحبيب :

تعال أقف وإياك للنظر في جانب سلامه الصدر فقط، وطهارة القلب في حياة هذين الرجلين في أكثر من موقف في حياتهما، إنهم: الإمامان أحمد بن حنبل، وابن تيمية - رحهما الله تعالى - جيئاً. ففي حياتهما مثلاً أعلى للعاملين، والدعاة المصلحين، والعباد المخلصين. فمع كثرة الأذى لهما والنيل منهما وسجنهما وجلدهما، والتعرض للفتن، بل وللتکفير والتفسیق والتبدیع - عیاذًا بالله - ومع ذلك كله فاقرأ وتفکر لتعرف منْ أنت أیها المسکین، اقرأ وصارح

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

نفسك وكن لها من الناصحين، فأنت إذا رماك أحد بتهمة ما تركت صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرتها في قائلك.

ذكر عبدالغني المقطري في كتابه مختصر الإمام أحمد^(١) بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرت أبو عبد الله - أي أحمد بن حنبل - وأتاه رجل في مسجدنا وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان. فجلس حتى انصرف من كان عند أبي عبدالله، ثم دنا منه؛ فرفعه أبو عبد الله لما رأى من هيئته. فقال الرجل يا أبو عبد الله اجعلني في حل. قال أحمد: من ماذَا؟! قال: كنت حاضراً يوم ضربتَ وما أعنْتُ وما تكلمتُ إلا أنا حضرت ذلك. فأطرق أبو عبد الله، ثم رفع رأسه إليه، فقال: أحدث الله توبة ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف. فقال له: يا أبو عبد الله أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان. قال له أبو عبد الله: فأنت في حل وكل من ذكرني، إلا مبتدع. قال أبو عبد الله: وقد جعلت أبو إسحاق^(٢). في

(١) مختصر الإمام أحمد، لعبدالغني المقطري ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) أبو إسحاق: هو المعتصم خليفة المسلمين وقد أذن بضرب الإمام =

حل . ورأيت الله عز وجل يقول : ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا أَلَا
يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(١) . وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في
قضية مسطح . ثم قال أبو عبدالله : العفو أفضل^(٢) . وما
ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسيبك ، لكن لتفع وتصفح
عنه ، فيغفر الله لك كما وعدك » .

أيام الآخر

إن سمعت أحداً قال فيك قولًا أو حتى آذاك، فلا شك
أن النفس بشريتها تغضب وتفكر في الانتقام، لكن اعلم أن
صدق الأخلاق لا يظهر إلا في المواقف العصبية الشديدة.
أما في المواقف الهينة اللينة فلا فخر ولا فضل.

ساق المقدسي - رحمه الله - بسنده إلى أبي علي الحسين بن عبد الله الخراقي قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلة. فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح. فقلت: يا أبا عبدالله كثُر بكاؤك

أحمد وتعذيبه.

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢١.

الليلة، فما السبب؟ قال أَحْمَدُ: ذُكِرَتْ ضربُ المُعْتَصِمِ إِيَّاهُ وَمَرَّ بِهِ فِي الدِّرْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَّوْا سِيَّئَاتِهِ سِيَّئَةً مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ كَاوَاصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). فَسَجَدَتْ وَأَحْلَلَتْهُ مِنْ ضربِي فِي السُّجُودِ^(٢). رَحْمَ اللَّهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، إِمامُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

هَذَا الإِيمَانُ يَصْنَعُ الْأَعْجَيبَ، فَالْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَةُ التِي تَحْبُّ نَشْرَ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ، لَا تَعْرِفُ الْحَقْدَ وَالْحَسْدَ وَالْأَنْتَقَامَ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ مَظْلُومَةً.

وَذُكِرَابْنُ رَجَبٍ فِي طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ فُوزَانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَقَالَ لَهُ: نَكْتُبْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُنْصُورِ الطُّوسِيِّ؟ فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَكْتُبْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُنْصُورٍ فَعُمْنَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَهَا مَرَارًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِيْكَ. فَقَالَ أَحْمَدٌ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: رَجُلٌ صَالِحٌ ابْنِي فِينَا

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) مَحْنَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ص ١٦٠.

فما نعمل؟! ^(١).

وما أتعجب مواقف الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -. اقرؤوا هذا الكتاب «محة الإمام أحمد بن حنبل» ^(٢) وانظروا مواقفه مع من عاداه، ومع من ضربه، ومع من سبه وشتمه. فرحم الله الإمام أحمد.

أضحي ابن حنبل محنَّةً مأمونةً

وبحبَّ أَحْمَدَ يُعرَفُ الْمُتَسَكُّ
فإِذَا رأَيْتَ لِأَحْمَدَ مُسْتَقْصِّاً

فَاعْلِمْ بِأَنَّ سَوْرَةَ سَهْلَكُ ^(٣)

- ومن مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مع مخالفيه، بالرغم من إيدائهم له وتعديهم عليه بالباطل، إلا أنه لم يقابل ذلك - رحمه الله تعالى - إلا بالإحسان. فها هو

(١) طبقات الحنابلة ١٩٥/١ - ١٩٦، وسير أعلام النبلاء ٣١٧/١١
قال: أبوكربي.

(٢) لعبدالغني المقدسي.

(٣) قالها ابن أعين كما في تاريخ دمشق، وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

يقول في الفتاوى: «وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها^(١) وإقامة كل خير. وابن مخلوف^(٢) لو عمل، مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نتني وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فلما أعلم أن الشيطان يتزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين»^(٣). هـ

ويقول أيضاً في موضع آخر: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله في بتکفیر، أو تفسیق، أو افتراء أو عصبية جاهلية : فأنا لا أتعدى حدود الله فيه،

(١) يعني: في الفتنة التي حصلت فيه وقته.

(٢) ابن مخلوف هذا قال عنه شيخ الإسلام: هو عدوي. ولما بلغه أن الناس يتربدون إلى ابن تيمية في سجنه قال ابن مخلوف عن ابن تيمية: يجب أن يضيق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره. [الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٦/١ - ١٥٧]. البدر الطالع للشوکانی (٦٧/١)].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧١/٣).

بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس، حاكماً لما اختلفوا فيه.^(١)

ويقول رحمة الله أيضاً: «فلا أحب أن يُنصر من أحد بسبب كذبه علىّ أو ظلمه وعدوانه، فإنني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم وإنما فحكم الله نافذ فيهم. فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله، لكنه أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، ولكن الله هو المشكور على حسن نعمه وألائه وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له»^(٢) انتهى كلامه رحمة الله.

ويقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية - رحمة الله تعالى -:

(١) المصدر السابق (٣/٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٥).

«وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال - يعني سلامه الصدر وتنقية القلب والعفو عن الناس - من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وكان بعض أصحابه الأكابر. يقول: وددت أني لصاحب مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد قط، بل كان يدعوا لهم. وجئته يوماً مبشرًا له بموت أكبر أعدائه وأشدّهم عداوة وأدّى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم. وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه - ونحو هذا من الكلام - فسُرُّوا ودعوا له وعظموه هذه الحال منه - رحمة الله ورضي الله عنه». ^(١)

رد على حديثهم يا حادي
فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي
هكذا هم رضوان الله تعالى عليهم في مواقفهم، وفي
حياتهم، وفي أحوالهم مع من عاداهم، أو حتى كفّرهم أو

(١) مدارج السالكين (٣٤٥/٢).

فسقهم أو بدعهم أو آذاهم. هكذا تكون القلوب المؤمنة المتعلقة الخائفة الراجية من الله العفو والصفح، والتي تحب النصح للأمة وتنظر للدنيا أنها دار مبر لا دار مقر، هكذا العلم وأثره في القلوب المخلصة الصادقة نسأل الله الكريم من فضله.

أخيراً:

نتائج سلامة الصدر وأثاره

لو لم يكن من آثار سلامة الصدر وتنقية القلب إلا أنه سبب لدخول الجنة - كما ذكرنا في حديث أنس^(١) لكفى، فإن سلامة الصدر من أعظم أسباب دخول الجنة.

قال ابن القيم: «وها هنا للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصييه من أذى الخلق وجنایتهم . . ثم قال: المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والخلم، فإنه متى شهد ذلك وفضله وحلاؤته وعزته، لم يعدل عنه إلا لعشى في بصيرته، فإنه «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً» كما صح ذلك عن النبي ﷺ^(٢). وعلم بالتجربة والوجود، وما انتقم أحد لنفسه إلا

(١) وهو حديث «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة . . .» أخرجه أحمد وغيره وقد سبق .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) والترمذى برقم (٢٠٢٩) بلفظ =

ذل . هذا وفي العفو والصفح والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيه بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام»^(١) .

ويقول أيضاً رحمة الله تعالى في المشهد السادس : مشهد السلامة وبرد القلب ، وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته ، وهو ألا يشتعل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه ، بل يفرغ قلبه من ذلك ، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أفعى له وألذ وأطيب وأعون على مصالحة ، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه ، فيكون بذلك مغبوناً ، والرشيد لا يرضى بذلك ، ويرى أنه من تصرفات السفهاء ، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوسواس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام»^(٢) .

= «رجالاً» كلاماً من حديث أبي هريرة .

(١) مدارج السالكين (٣١٨، ٣١٩) .

(٢) المصدر السابق . ٣٢٠ / ٢

ثم أثر آخر ونتيجة أخرى من نتائج تنقية القلب من الغل والحسد وهي : لو لم يكن في هذا القلب كما أشار ابن القيم - رحمه الله - إلا الطمأنينة والأمن وراحة البال لصاحبها ، لكفى به شرفاً ونتيجة . فصاحب القلب الخالي من الأحقاد والظنون يتفرغ لصالحه وشئونه . قال زيد بن أسلم : « دُخُلَ عَلَى أَبِي دِجَانَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَهُوَ مَرِيضٌ وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ فَقَيلَ لَهُ : مَا لَوْجَهِكَ يَتَهَلَّلُ . فَقَالَ : مَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٌ أَوْثَقَ عَنِّي مِنْ اثْنَتَيْنِ : كُنْتَ لَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يُعْنِيَنِي . وَالْأُخْرَى : كَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا . ^(١)

ويقول سفيان بن دينار: قلت لأبي بشر وكان من أصحاب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخبرني عن أعمال من كان قبلنا. قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً». قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٤٣/١).

(٢) آخرجه هناد في كتاب الزهد (٦٠٠/٢) برقم (١٢٧٥).

وذكر ابن رجب في كتابه جامع العلوم^(١). قال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: لم يدرك من عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

(١) جامع العلوم والحكم (٢٢٥/١) رقم الحديث (٧) الرسالة.

الأسباب التي يجيء منها حقد القلب أو نفرته

أسباب امتلاء الصدر وغل القلب تنقسم قسمين:
أسباب مباشرة، وأسباب غير مباشرة.

- **فمن الأسباب المباشرة:** وعلى رأسها الشيطان، فإن الفرقة والخلاف وملء الصدور بالشحنة وضيق الصدر غاية من غاياته. كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب المنافقين باب تحرير الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً - من حديث جابر - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جريرة العرب، ولكن في التحرير بينهم»^(١). - أي بالخصوصات بالشحنة والمحروب والفتنة وغيرها.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢) وأحمد (٣١٣/٣)، (٧٣/٥). والترمذى برقم (١٩٣٧).

ومن نظر حال المسلمين اليوم، عرف كيف يكون التحرش من الشيطان.

وبسبب ثان مباشر وهو: أمراض القلوب بأنواعها بدءاً بسوء الظن والنجوى والحسد والغرور والهوى وحب التصدر وغيرها. وجماع ذلك: الغفلة عن القلب وإهماله. ونشكو إلى الله حالنا مع قلوبنا وإطلاق العنان لها. فإننا نهتم بمظهرنا ومركبنا وأكلنا وشربنا، ونغفل كثيراً عن قلوبنا فتتجتمع عليها النكت نكتة حتى يصبح القلب أسودَ مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معرفة ولا ينكر منكراً^(١) - والعياذ بالله - .

فخذ مثلاً، سوء الظن وهو: ترجيح ما يخطر في النفس من احتمال السوء. وبيداً سوء الظن بخاطرة تندفع في الذهن ثم لا يزال الشيطان ينفح فيها حتى ينزلها منزلة الحقيقة فنقول مثلاً: فلان يريد كذا، ويقصد من كلامه كذا

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١٤٤) وأحمد (٤٠٥، ٣٨٦/٥).

فدخلنا في التوایا والمقاصد.

وما أجمل قول محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى -: إذا
بلغك عن أخيك شيء، فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له
فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه^(١).

- أما الأسباب غير المباشرة:

أولاً: الاختلاف في وجهات النظر وطريقة سير العمل.
فقد يؤدي الخلاف في الآراء، والتصورات إلى اختلاف
القلوب وجفوتها وامتلائها بالشحنة، فليس شرطاً أخي
الحبيب: أن يوافقك الناس بكل ما تريد. فإما أن توافقني
وإلا فأنت عدوي، وأنت معى، وإلا فأنت صدي.

ذكر الذهبي في السير قال: قال يونس الصدفي: ما رأيت
أعقل من الشافعى، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا،
ولقيتني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن
نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة^(٢).

(١) التوبیخ والتنبیه للأصبهانی ص ١٢٨ رقم ٩٧.

(٢) سیر أعلام النبلاء (١٦/١٠) وعزاه المحقق إلى تاريخ ابن

انظروا للنفوس ألا يسعنا ما وسعهم؟!

وقال أحمد بن حفص السعدي شيخ ابن عدي: سمعتَ
أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل
إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس مازال يخالف
بعضهم بعضاً^(١). هكذا كانوا - رحمهم الله تعالى - فإذا
فاحللاف في المسألة الفرعية لا يفسد للود قضية أبداً. فقد
كان يعذر بعضهم بعضاً فيقول: لعل له تأويلاً، ويقول:
لعل ذلك الحديث لم يبلغه. أو لم يصله أو غير ذلك من
الأعذار^(٢).

قال الذهبي في السير: «مازال الأئمة يخالف بعضهم
بعضاً، ويرد هذا على هذا، ولسنا من يذم العالم بالهوى
والجهل.

عاشر =

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧١/١١ وافقاً تعليق المحقق على القصة
وانظر «الصيحة والتعبير» لابن رجب ص ٣١.

(٢) انظر - إن شئت - رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام
ابن تيمية رحمه الله.

ثانياً: التنافس. ولاشك أن التنافس أمرٌ محمودٌ، لكنه قد يتعدى إلى الحسد والغل على الآخرين خاصة بين الأقران. ولذلك يقول الذهبي: «استفق وبحك وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب وقع فيه سادة فرحم الله الجميع». ويقول أيضاً: «كلام الأقران يُطوى، ولا يُروى». ويقول أيضاً: «كلام الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطيه أولى من بته، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم»^(١).

ليس هذا الكلام على إطلاقه، فهناك من الأقران من يهتم بقرينه، بل ويفضله على نفسه، فهذا هشام بن يوسف يقول: كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا^(٢).

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٧/٤٠-٤١، ١٤٣-٩٤ و ١٠/٩٢-٩٤) و ميزان الاعتدال (١١١/١) و ٥٠١-٥٠٠/١٢ و (٤٢/١٤) و للاستزادة انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١٥٦-١٥١/٢).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (١٨/٥٨)، و سير أعلام النبلاء (٩/٥٦٦).

فهذه صورة جميلة لحال الأقران المنصفين بل وهناك صور
كثيرة، والله الحمد والمنة.

ثالثاً: التناصح! وكيف يكون التناصح سبباً للحسد
والحقد؟! فبعض الناس لا يتحمل النصيحة، فيبدأ بالكيد
للناصح والتفتيش عن عيوبه وبثها. مع أنك حرصت على
أن تكون الوسيلة صحيحة: بانفراد، وبينك وبينه،
وبالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، ومع ذلك وَجَدَ في نفسه
 شيئاً عليك، ولا يزال يتحرى ويبحث عن أخطائك؛ حتى
يرد الصاع صاعين كما يقال.

رابعاً: التجارة والبيع والشراء والتعامل مع الآخرين.
«ورحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشتري وإذا
اقتضى»^(١).

(١) رواه البخاري برقم (٢٠٧٦).

كيف السبيل لسلامة الصدر

أولاً: أن تدعوا الله بصدق وإلحاح أن يرزقك قلباً سليماً محبًا للآخرين. فقد كان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك قلباً سليماً»^(١). وردد يا أخي الحبيب ﷺ ربنا آغفر لنا ولامحونا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا»^(٢).

وسائل الله حسن الخلق . . فإن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»^(٣) وما وصل أولئك الرجال إلى ما

(١) رواه النسائي (١٣٠٤) والترمذى (٣٤٠٧) وأحمد (٤/١٢٣، ١٢٥) عن شداد بن أوس بلفظ «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر . . واسألك قلباً سليماً».

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٧) وأحمد (٦/٩٤، ٩٠) (١٨٧) والحاكم (١/٦٠) وابن حبان (٤٨٠) عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن عائشة بلفظ: (إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة =

وصلوا إليه إلا بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة. كما ذكرنا آنفًا. فاحرص على الدعاء لإخوانك. وما أجمل العفو. فقل قبل منامك: اللهم إني قد عفوت عنه لوجهك الكريم، ما أجمل أن تردد هذه الكلمات في نفسك كل ليلة. فإذا نمت، نمت بقلب سليم وإذا مت، مت بقلب سليم. ثم أتبع هذه الكلمات بقولك: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنِي»^(١). أسألك بالله يا أخي الحبيب هل ستكون أحلم من الله جل وعلا فكما عفوت أنت عن خلقه فسيعفوا الله عنك إن شاء الله. ثقة بالله . فالله أحلم وأعظم وأكرم. فاعف عن عباد الله يعف

= الصائم القائم) وصححه الألباني في السلسلة (٧٩٥). وهو منقطع. قال أبو حاتم عن المطلب: «روايته عن عائشة مرسلة ولم يدركها».

(١) هذا ما أرشد إليه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عندما سأله قائلة: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: اللهم...». أخرجه الترمذى برقم (٣٥١٣) وابن ماجه برقم (٣٨٥٠) وأحمد (٦/١٨٣، ٢٥٨).

الله عنك، طهر قلبك من الحقد والغل على الآخرين، تجد أن الله سبحانه وتعالى يحفظك ويوفقك ويعلي درجتك.

ثانياً: احذر الغفلة عن القلب وراقبه مراقبة جيدة. واعلم أن تنقية القلب من الغل والحقد يحتاج إلى ترويض نفس، وطول مواجهة ومراقبة. فإذا وجدت في قلبك على أحد، فابحث عن الأسباب، وصارح نفسك، ولا تستجب لباعث الهوى فيها. وعليك بهضم النفس، وأسأل الله العون والتوفيق.

ثالثاً: أحسن الظن بالآخرين، والتمس لهم الأعذار. فإن لم تجد فقل لعل أخي عذرًا لا أعلم.

قيل إن أبا إسحاق نزع عمamته يوماً وكانت بعشرين ديناراً وتوضأ في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها وما شعر حتى سأله وهو يدرس في درسه؟ فقال: لعل الذي أخذها محتاج!

أولئك آباءٌ فجئني بمثلهم
إذا جمعنا ياجري رُ المحامي

رابعاً: الصبر والتحمل. فإن الاحتمال مقبرة المتابع،
وتمثل قول الشاعر:

إذا أدمت قوارصك فـؤادي
صبرتُ على أذاكـم وانطـويـتُ
وـجـئـتـ إـلـيـكـمـ طـلاقـ الـحـيـاـ
ـكـأـنـيـ مـاـ سـعـمـتـ لـاـ رـأـيـتـ

خامسًا: العـفـ وـالـصـفـحـ
﴿فَمَنْ عَفَّ كَا وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). ومن علامته كما ذكرنا
الدعاء لإخوانك خاصة من كان بينك وبينه جفوة أو
شحنة. حاول أن تدعوه له، مع أنني أعلم أن هذا لا يطاق.
لكن جرب، وحاول أن تدعو لإخوانك، وأرغم نفسك
والشيطان على الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والتوفيق
والهداية. وكما يقول عبدالله بن أحمد: ربما سمعت أبي في
السحر يدعوا لأقوام بأسماائهم^(٢).

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) انظر أعلام النبلاء (١١/٢٢٣)، ومناقب الإمام أحمد لابن =

وإني لأعجب أن ينام المسلم ملء جفنيه وبينه وبين أخيه
شحناه أو جفوة، وقد تأتيه المنية تلك الليلة، وما أجمل قول
المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبينبني أبي
وبينبني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا
وإن ضيعوا غيمي حفظت غيمتهم
وإن هم هروا غيمي هويت لهم رشدًا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس كريم القوم من يحمل الحقداً

ثلاثة قبل النهاية

أولاً: إن ما تقدم لا يعني أننا ننهى عن تصحيح الأخطاء وتقويم الآراء، ونأمر بالتجاهلي عن الزلات وعدم التنبيه عليها وتقويم الآراء، بل إننا نطالب بذلك، ولكن بالضوابط الشرعية المقدرة عند سلفنا الصالح وعلمائنا الأفاضل رحمهم الله. ول يكن القصد الوصول للحق، لا الانتصار للنفس والهوى.

ثانياً: هذا الموضوع رسالة إليكم جميعاً، وإلى العلماء، وإلى طلاب العلم، والمدرسين، والآباء والمربيين، وجميع من يعنيهم الأمر. فلنحرص على تربية الشباب وتربية الأجيال، وتربية النفوس على صفاء النفس وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وصدق العمل، وإخلاص النية لله فيه. وإن أهم أساليب التربية هي القدوة الحسنة.

ثالثاً: إن هذا الموضوع دعوة عامة لطهارة القلب وسلامة الصدر، وصفاء النفس فهوأمانة عند كل من قرأه، لنشره

وبه بين الناس في جميع طبقاتهم و مختلف أحوالهم، لنشر مثل هذا الموضوع، ولتحدث عنه كثيراً؛ ليحصل الحب واللوعة وجمع القلوب، وتوحيد الكلمة بين المسلمين، فَيَشْرِقَ بذلك أعداء الإسلام من المنافقين وغيرهم.

فبادر بنشره، ول يكن حديث مجالسنا ومدارسنا وأسواقنا، ورب مبلغ أو عى من سامع.

اللهم إني ببلغت اللهم فاشهد، ربنا ظلمتنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

هذا ما كتبت يميني بما كان فيه من صواب فمن الله فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي الضعيفة وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفر لك اللهم وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٣ | المقدمة |
| ١٠ | لماذا الحديث عن الأنقياء وسلامة الصدر ؟ |
| ١٢ | ماذا نريد ؟ |
| ١٥ | ثلاثة قبل البداية |
| ٢٢ | صورة مشرقة في عالم الصفاء والنقاء |
| ٢٢ | الصورة الأولى : (وهي التي لا تطاق) |
| ٢٧ | الصورة الثانية : (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمض ؟) |
| ٣٠ | الصورة الثالثة : (ما عندي إلا عرضي) |
| ٣٣ | الصورة الرابعة : (بئس ما قلت والله ما نعلم إلا خيراً) |
| ٣٧ | الصورة الخامسة : (سرتيني سرك الله) |
| ٣٩ | الصورة السادسة : (إذن تقع في الشغل) |
| ٤١ | الصورة السابعة : (ما عرفني إلا أنت) |
| ٤٣ | الصورة الثامنة : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) |
| ٤٦ | الصورة التاسعة : (إن كنت صادقاً فغفر الله لي) |
| ٥٢ | الصورة العاشرة والأخيرة : (لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة) |